مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديميةISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 01 ص.ص: 803-816

مقاربة نقدية لكتاب "شعرية النص التفاعلي–آلية السرد وسحر القراءة–" للبيبة خمار

A critical approach to the book Interactive Text Poetry-narrative mechanism and reading magic- by labiba khamar

دلال حيُور، جامعة جيجل–(الجزائر)dalalhiour1@gmail.com

تاريخ إرسال المقال: 18-08-2021 تاريخ قبول المقال: 20-05-2022

الملخص: تسعى هذه الدراسة إلى تقديم قراءة لإحدى التجارب النقدية الرائدة في مجال الأدب التفاعلي للناقدة المغربية (لبيبة خمار) من خلال كتابها الموسوم بـ" شعرية النص التفاعلي– آلية السرد وسحر القراءة–"، والتي استفادت فيها من مجهودات الناقد سعيد يقطين في هذا المجال، وعلى الرغم من جدّة الطرح فترة تأليف العمل النقدي، وجدّية الدراسة، إلاّ أنّنا وجدنا الناقدة تتخبط في إشكالات كبرى؛ منهجية، ومفاهيمية متعلقة بمجموعة المصطلحات المضطربة التي اعتمدتها. وقد بيّنت الدراسة جدّية البحث بتجريب إجراء الحذف على الرواية التفاعلية من جهة، كما ركزت من جهة أخرى على الدراسة التطبيقية المتأسسة على مكونات الرواية التفاعلية الداخلية.

الكلمات المفتاحية: مقاربة نقدية، النص التفاعلي، الرواية التفاعلية، لبيبة خمار.

Abstract:

This study seeks to provide a reading of one of the leading critical experience in the field of interactive literature by the Moroccan critic (Labiba Khammar) through her book entitled "The Poetics of the Interactive Text - The Mechanism of Narrative and the Magic of Reading -", in which she benefited from the efforts of the critic Said Yaktine in this field, and on Despite the novelty of the presentation during the writing of the critical work, and the seriousness of the study, we found the critic floundering in major problems. Methodological, and conceptual, relating to the set of turbulent terms that I have adopted. The study demonstrated the seriousness of the research by experimenting with the deletion procedure on the interactive novel on the one hand, and on the other hand focused on the applied study based on the components of the internal interactive novel.

Key words : Critical approach, interactive text, interactive novel, Labiba Khimar.

مقدمة:

يحفل مجال البحث في موضوع الأدب التفاعلي باهتمام النقاد، والدارسين العرب منذ ظهوره في العالم العربي، وقد كانت الناقدة المغربية(لبيبة خمار) سباقة في خوض مجال البحث فيه في كتابها"شعرية النص التفاعلي–آليات السرد وسحر القراءة"، فقد اشتغلت على الرواية التفاعلية بدراسة تطبيقية لمدونتين؛ الأولى غربية وهي رواية "الواقي الشمسي"لألان سالفتور، والثانية عربية رواية "شات" لمحمد سناجلة. حاولت الناقدة المزاوجة في الدراسة بين التنظير والتطبيق، حيث ضبطت العديد من المفاهيم الأساسية الموظفة فيها من جهة، ومن جهة ثانية تمّ التركيز على المكونات الداخلية للنص التفاعلي عموما، بتجريب تطبيق إجراء الحذف بأنواعه الثلاثة–(السردي، النحوي، البلاغي)– على أنموذج الرواية التفاعلية "الواقي الشمسي".

اعتمدنا في إنجاز هذه الدراسة على إجرائي الوصف والتحليل، في نقد الظاهرة النقدية بغية الإجابة عن مجموعة من التساؤلات التي اقتضتها طبيعة الموضوع المعالج: كيف استطاعت الناقدة(لبيبة خمار) التعامل مع هذا الشكل الأدبي المستجد–النص التفاعلي عموما والرواية التفاعلية خصوصا زمن تأليف الكتاب– على مستويي التنظير والتطبيق معا؟، وما أهم السمات التي تفرد بها الأدب التفاعلي عن الأدب الورقي من خلال النماذج التي اختارتها الناقدة؟، وماهي مكامن القوة، ومواطن الضعف في تأليف الكتاب؟.

المبحث الأول: مقاربة نقدية لكتاب"شعرية النص التفاعلي–آليات السرد وسحر القراءة–"للبيبة خمار

يحتاج كل باحث في أي مجال بحثي أو أي علم من العلوم إلى مجموعة من المصطلحات التي يكون باستيعابها ملتزما بضبط مفاهيمها، معتمدا بذلك قواعد البحث الصحيح، بعيدا عن الاضطراب الذي تعرفه الكثير من الدراسات، خاصة في ظل ما نلحظه من استحداث واضح لمجموعة كبيرة منها– من المصطلحات– والتي جاءت مواكبة للعصر التكنولوجي الذي نعيش فيه، والذي أثّر بشكل واضح على مختلف مجالات المعرفة، وفي مقدمتها الأدب الذي أفاد من معطياته الحديثة بولادة وظهور أشكال أدبية تتلاءم وطبيعته، فقد حاول المبدع والناقد معا مسايرة هذه الثورة المعلوماتية الحديثة بإنتاج أدبي، واستحداثي مصطلحي يعكسان هذا التطور الحاصل.

ظهر شكل من أشكال الأدب يعرف بالأدب التفاعلي، والذي كان البحث في مجاله ضربا من ضروب المغامرة التي تخوف منها الكثير من الباحثين العرب، وفي مقدمتهم الناقدة المغربية(لبيبة

خمار)التي أعربت صراحة عن تخوفها من البحث في مجاله حيث تقول:"لا أخفيك اعترتني رهبة غريبة متولدة من جدة المصطلح وضبابيته، فلم يسبق لي من قبل أن سمعت بهذا الوافد الجديد، ولا قرأت عنه، ولا علم لي بخصوصياته وهويته وكلما سألت وبحثت إلا وجدت نوعا من الفراغ النقدي يوازيه شح إبداعي، فراق لي تحدي تحديد الغامض، والإمساك بالمنسرب"[1]. تحاول الباحثة من خلال كتابها الموسوم بـ"شعرية النص التفاعلي– آليات السرد وسحر القراءة–" أن تزيح الكثير من الغموض والضبابية على هذا المصطلح، انطلاقا من التشجيع الذي وجدته من أستاذها الناقد المغربي سعيد يقطين الذي يعد من المنظرين العرب الأوائل الذين كتبوا في هذا المجال. فضلت الناقدة الخوض في البحث في مثل هذه المغامرة الجميلة التي كان لطبيعة الإبداع الأدبي فيها إغراء واضحا، على اعتبار أنّ"الأدب الرقمي هو أدب المستقبل، أدب جيل الأندرويد، والهواتف الذكية والألواح الرقمية...."[2]، فهل سيحقق هذا النوع من الأدب تفوقه فعلا على الأدب الورقي؟.

المطلب الأول:أهداف الناقدة من الدراسة:

يأتي هذا الكتاب بحسب تصريح الناقدة(لبيبة خمار)ليقف عند مجموعة من الأهداف التي تنشد تحقيقها، والتوصل إليها من خلال دراسة الرواية التفاعلية أنموذجا عن الأدب التفاعلي:"...بمحاولة القبض على الآليات التي ترتكز عليها الرواية الرقمية، والطرائق التي تتبنى بها نصوصها المتعددة والمختلفة العلامات ما بين لفظية وأيقونية والمنخرطة في كل يضمها ويمنحها انسجاما وتألقا يولد جمالية خاصة قائمة على جمالية الغياب والمحو، كما اعتنيت بالقبض على تلك التعالقات التي تنسجها البنيات مع بعضها البعض"[3]، خاصة وأنّ هذا النوع من الروايات"تتقدم....كرهان المستقبل، وحرصا منا على مواكبة الجديد الذي اختلقته، خضنا مغامرة البحث فيها كمحاولة منا لإيجاد الآليات التي ستمكن من قراءتها واستخلاص ميزاتها والوقوف عند جماليتها وشعريتها...."[4]. كما حددت الناقدة مجموعة من الفرضيات التي تريد التأكد منها، من خلال دراسة الرواية التفاعلية بشكل خاص، فهي تريد" التحقق من أنّ تغيير الواسطة التي تتمظهر عبرها الرواية له تأثير على البنية والشكل. إشكالية نود من خلالها تلمس بعض المكونات، والمرتكزات التي ترتهن إليها الرواية التفاعلية. مع محاولة التأكيد على أنها ترتهن إلى قواعد وأسس مضبوطة وأنها ولدت سردية جديدة تختلف عن سردية النص....."[5]، يحمل كتاب(لبيبة خمار)إذا مجموعة من الأهداف التي تمخضت عن بحث حثيث للوصول بالقارئ إلى وعي بهذا النوع من الإبداع، الذي اختارت له مبدئيا مصطلح النص التفاعلي الذي أدرجته بشكل صريح في عنوان الكتاب، والذي حاولت منذ الصفحات الأولى لكتابته أن تثبت تأخر المبدعين العرب ومن بعدهم النقاد في معرفته.

المطلب الثاني: الخلفية المرجعية:

تتكون المعلومات الواجب الحصول عليها، من معارف عامة حول موضوع البحث وما أنجز حوله من دراسات وما نشر من مقالات علمية في مجلات ورقية أو إلكترونية، بالنسبة لبعض المواضيع، تكون المهمة شاقة لأن الباحث قد يصادف، خاصة على شبكة الأنترنت، العديد من الوثائق والكتب التي تتناول موضوع بحثه من جهة، كما قد يجد نفسه أمام معضلة انعدام الوثائق والمعلومات المتعلقة بموضوع بحثه من جهة أخرى، في الحالتين يستوجب التنظيم الجيد والمحكم لهذه المرحلة من الدراسة. وإذا ما تصفحنا قائمة المصادر والمراجع الأجنبية المعتمد عليها في إنجاز هذا العمل يتبيّن أنها ذات خلفية تصورية فرونكوفونية تستند في أكثريتها على مقالات منشورة في مواقع إلكترونية غربية، ويرجع السبب الرئيسي–حسب اعتقادنا المتواضع– في اعتماد الناقدة على هذا النوع من المراجع بشكل كبير– المواقع الإلكترونية الغربية والعربية على حد السواء–؛ جدة الموضوع في ساحة الدراسات النقدية العربية، خاصة وأنّها من النقاد العرب الأوائل المبادرين في التأليف في مثل هذه المواضيع، إضافة إلى قلة المراجع العربية المتخصصة في حقله.

المطلب الثالث: المتن المدروس:

يتبدى بشكل واضح في متن الدراسة الحيز الكبير الذي احتله المتن الرئيسي المدروس؛ ونخص بالتحديد رواية"الواقي الشمسي" لألان سالفتور التي شغلت حوالي واحد وعشرين صفحة بعد المائة من مجموع صفحات الكتاب الذي يقع في سبع وثمانين صفحة بعد المائتين، في حين خصصت الناقدة لدراسة رواية "شات" لمحمد سناجلة حوالي ثمانية وثلاثين صفحة فقط، وقد جاء المتن المدروس بحسب الفصول تبعا للتقسيم التالي:

– رواية"الواقي الشمسي" الفصل الثاني، والذي خصص له خمسة مباحث.

– رواية الواقعية الرقمية"شات"الفصل الثالث، والذي ضم خمسة عناصر افتقرت للتقسيم المبحثي، وحتى الترقيمين؛ العددي، أو الحرفي.

تعرب الناقدة صراحة في نهاية التمهيد الذي جعلته في بداية الفصل الثالث عن عدم إعطاء رواية الواقعية الرقمية ممثّلة بأنموذج رواية "شات" حقها من الدراسة، ويمكن للدارس أن يتأكد من هذا المعطى بالمعاينة البسيطة للفهرس من جهة، وبإجراء العملية الإحصائية للصفحات المخصصة للفصل–ثمانية وثلاثون صفحة–من جهة ثانية، حيث تقول:"خصصنا الفصل الثالث للتعريف بهذه الرواية. آخذين كنموذج رواية "شات"التي قدمنا لها بقراءة سطحية تتغيا القبض على ملامحها وخصائصها. تاركين الباب

مفتوحا على مصرعيه لقراءات مستقبلية قد تكون أكثر نضجا وعمقا"[6]، كما تشير الناقدة في مقدمة الكتاب بأنّ هذا المتن لم يكن مبرمجا كأنموذج للدراسة من قبل:"أثناء الاشتغال بدأت تظهر بعض التجارب العربية ممثلة في رواية الواقعية الرقمية التي ابتدعها الكاتب الأردني"محمد سناجلة" فقد صدرت رواية ظلال الواحد رقميا سنة2001، تلتها رواية شات سنة2005 وأخيرا صقيع سنة2006 فانفتحنا على هذه التجربة أيضا"[7].

تتصالح الناقدة مع نفسها وتقف عند مكامن النقص في عملها، وهذه شجاعة تحسب لها لا عليها، وتزيد من يقينية أن الناقدة لم تبخل في بذل الجهد من أجل استيعاب الكثير من الغموض الذي وجدته في موضوع البحث قيد الدراسة، وتتمنى أن تسنح لها فرص بحثية أخرى لدراستها بشكل أعمق.

كما يمكن للقارئ أن يضيف للمتنين الرئيسيين السابقين المدروسين، متن ثانوي خصصته الناقدة لدراسة الرواية التفاعلية التوليدية من خلال أنموذج رواية"مسارات"لجان بيير بالب. وإذا ما عدنا للتحديدات الإحصائية نجد أنّ مجموع الصفحات المخصصة لدراسة المتون الروائية الثلاثة تصل إجمالا إلى واحد وثمانين صفحة بعد المائة، حيث نخلص إلى غلبة التطبيق على حساب التنظير، إلاّ أنّ هذه النتيجة ليست يقينية، لأنّ الناقدة لجأت للتنظير أيضا حتى في الأجزاء المخصصة للتطبيق، بمعنى أدق أنّ الناقدة زاوجت بين الجانبين في الدراسة التطبيقية نفسها.

المبحث الثاني: الممارسة النقدية

المطلب الأول: الوصف:

يصاغ العنوان بشكل عام ليعبر عن مضمون البحث ومحتواه بشكل دقيق، بحيث يمكن للقارئ أن يحدد طبيعة الموضوع وأهميته بالنسبة إلى حقل الدراسات التي ينتمي إليها، إضافة إلى أنه لابد أن يعكس محتوى البحث، ويشير بشكل مباشر أو غير مباشر إلى منهج البحث، وطبيعة آليات الدراسة التي سيستخدمها الباحث في موضوعه، وهذا ما اعتنت به الناقدة ووضعته في الحسبان، فجعلته في صيغة عنوان أصلي، يوضحه أكثر عنوان فرعي جاء بالصيغة التالية: شعرية النص التفاعلي –آليات السرد وسحر القراءة–، وقد جاء اختيار هذا الموضوع من منطلق مجموعة من ميولات ذاتية تشكلت بناء على رغبات الباحثة وقدراتها، والظاهر أنّها ليست من الأشخاص الذين يبحثون عن المواضيع السهلة بدل المعقدة، والواسعة بدل المحددة، والنظرية بدل التطبيقية، وإنما جاء اختيارها لموضوع جديد بالنظر لفترة كتابته، وصعب نظرا لضبابية المصطلح من جهة ونقص المادة المعرفية المخصصة له من جهة ثانية، ولذلك وصفت الناقدة تجربتها– فيما أشرنا إليه سابقا–بالمغامرة الجميلة، والممتعة رغم كلّ الصعوبات التي تحيط بموضوعها.

ولكننا نتساءل عن سبب اختيار الناقدة لمصطلح النص التفاعلي في العنوان بدلا من مصطلح الرواية التفاعلية؟، ونتساءل عن سبب اختيارها أصلا لمصطلح النص التفاعلي مع أنها خصصت الدراسة لشكلين فقط من الأشكال المتفرعة عنه وهما؛ الرواية التفاعلية ورواية الواقعية الرقمية؟، كما أنها أعربت في المقدمة عن هدفها الأسمى وهو"مقاربة رواية المستقبل بغض النظر عن أصولها العرقية والبيئة الثقافية التي أنتجتها واللغة التي توسلت بها لبلوغ القارئ...."[8]، إذا يبقى اختيار الموضوع من جهة، وتبني عنوان الكتاب من جهة ثانية، وتصريحات الناقدة عن أهداف إنجازه من جهة ثالثة، محل تساؤل نطرحه، ونستغرب من ورائه هذا الارتباك الحاصل في ضبط الموضوع المعالج .

جعلت الناقدة(لبيبة خمار)دراستها في ثلاثة فصول؛ يضم كل فصل منها مجموعة من المباحث، تراوحت بين الأربع، والخمسة إلا أن القارئ يقف عند وجود غياب بعض الضوابط المنهجية المتعارف عليها في الكتابة، من حيث عدم التزام الباحثة بتقسيم واحد في كل فصول الكتاب؛ بحيث اعتمدت في الفصلين الأول، والفصل الثاني تقسيم المباحث، أما في الفصل الثالث فلم تعتمد فيه لا تقسيم المباحث، ولا التقسيم الحرفي، ولا العددي.كما يمكن أن يقف القارئ للكتاب عند وجود خلط في تبني الباحثة بعض مصطلحات المنهجية نفسها، فقد استخدمت المقدمة لتستهل بها عملها من حيث أنها المنظار الذي يعطي صورة واضحة عن محتوى البحث دون التفصيل فيه، وبين استخدام نفس العنصر لتصدر به كلا من المبحث الثاني من الفصل الثاني، والمباحث الثلاثة المكونة للفصل الثاني، فكان من المفترض أن تصدرها بتوطئة، فمن غير المنطقي أن يحوي العمل الواحد خمس مقدمات كاملة.

كما نعيب على الناقدة الارتباك الحاصل في عناصر تقسيم خطة البحث بشكل عام، حيث لم تلتزم الناقدة بمنهجية واحدة في الترقيم؛ فأحيانا يغيّب كلية كما هو الحال في عناصر الفصل الأول، كما تجمع في تقسيم الفصل الواحد بين الترقيم العددي، والترقيم الحرفي كما نجد ذلك في الفصل الثاني، كما لا نستطيع التمييز بين العناصر الكبرى، وبين فروعها خاصة في عناصر الفصل الثالث الذي أساءت فيه الناقدة اختيار طريقة الترقيم العددي المتبوع يا إما بمطة، أوبنقطة؛ فاعتماد الترقيم المتبوع بإحداها، جعلنا في كثير من المرات لا نميز بين الفرع، وما يتفرع عنه؟.

وبالوقوف عند عنوان الفصل الأول الذي جاء بعبارة"الرواية التفاعلية من الولادة إلى التطور"، فنحن نرى أنه من الأحسن إعادة ضبط العنوان الذي لا يتناسب مع العناصر الفرعية المدرجة تحته، خاصة وأنّ الناقدة اهتمت في أغلبية العناصر المدرجة بالنص المترابط، على حساب عنصر واحد فقط تم التصريح فيه بخصائص الرواية التفاعلية، وبعبارة أوضح نطلب تغيير عنوان الفصل الأول إلى"النص المترابط من الولادة إلى التطور"، كما نعتقد أنّه من الضروري ضم المبحثين الثالث الموسوم ب"السمات

الفنية للرواية التفاعلية"، والمبحث الرابع المعنون ب"الرواية التوليدية التفاعلية ليصدّر بهما الفصل الثاني، والذي خصص أصلا للرواية التفاعلية، واستعراض أنواعها.

ومن خلال معاينة عناصر الفصل الثاني من الكتاب، نلاحظ خطأ واضح في تحديد عنوان المدونة الغربية التي تشتغل عليها الناقدة، فبدلا من عنونة الفصل ب" قراءة في رواية الواقي الشمسي ألان سالفتور"، نصدم بعنوان آخر للمدونة فجاء عنوان الفصل على الشكل التالي:" قراءة في رواية شات ألان سالفتور"؟.

المطلب الثاني: الجانب الإجرائي:

من أهم المسائل النقدية التي اهتمت بها الناقدة(لبيبة خمار)، والتي حاولت الإجابة عنها من خلال الأنموذج الغربي الذي اشتغلت عليه هو سؤال الهوية الأجناسية، فقد وقفت عند صعوبة وضع النص ضمن خانة أجناسية محددة، بحيث تعددت الهويات الأجناسية لرواية"الواقي الشمسي"لألان سالفتور، ومن الاحتمالات التجنيسية للنص التالي:

–أول هوية أجناسية يتعرف عليها القارئ من خلال النص نفسه في قول المؤلف"مرحبا بك في خيال النص المترابط"[9]، وجدت الناقدة في هذا البعد الأجناسي غموضا أكثر منه توضيحا حيث تقول"فكلمة الخيال أو التخييل...، كلمة جامعة لكلّ أشكال السرد من قصة ورواية، بل إنها تنفتح لمعانقة الدرامي...."[10]، وتفصل الناقدة في توضيح مميزات هذا العمل، الذي أدرجه صاحبه في دائرة التخييل المعانق للسرد حيث كان من العلامات اللغوية وغير اللغوية الممثلة له؛"الصور الثابتة، والأيقونات المتحرك المجسدة في الروابط التي تمنح لهذا التخييل حيوية، وقدرة على الحركة داخل فضاء الشاشة، وتجعله معروضا، ممسرحا أمام المشاهد يلجُه من أنى شاء"[11]. كما بيّنت الناقدة أنّ مؤلف العمل نفسه كان يستبد به هاجس التصنيف"إذ جنس عمله باعتباره ينتمي للتخييلي لتنوع روافده التي تنهل من مشرب واحد هو السرد. ثمّ باعتباره نصا مترابطا لكونه التحقق الفعلي، المادي والمنجز الذي تمّ عرضه عن طريق الرابط"[12].

–كما تلتصق بالعمل صفة الترابطية وتنتفي عنه صفة التفاعلية من خلال المقتبس النصي الذي استشهدت به الناقدة حيث تؤكد أن رواية"الواقي الشمسي" تتميز بأسلوب الانحلال حيث"تنحل الفقرة لتترك مكانها للجملة، وحيث تنحل الجملة لتترك مكانها للكلمة. وحيث يظل الروائي هو المتحكم الوحيد في مسارات الرواية دون أن يسمح للقارئ بالتدخل للمشاركة في الكتابة لأنّ دوره الوحيد يقتصر على اختيار المسارات التي يرغب في قراءتها"[13]، وما يمكن أن يعاب على الناقدة أنها لم تثبت أو تنفي هوية النص

قيد الدراسة، ولم تقترح هوية أجناسية أخرى بديلة للنص، وإنما تركت باب تحديد الهوية مفتوحا على مصرعيه أمام جهود نقدية أخرى.

بناء على دراسة الناقدة لرواية "الواقي الشمسي" لألان سالفتور، تقترح مجموعة من الخطوات المنهجية في دراسة الرواية التفاعلية بشكل عام بالاعتماد على:

–بعد وصفي بجزئيه؛ الوصف الاستطلاعي والوصف الوظيفي.

–الاختبار النقدي الذي يتم فيه تجريب مفهوم الحذف.

ولكن بعد الصفحات التالية للصفحة الرابعة عشر بعد المائة، والتي تباشر فيها الناقدة دراسة رواية "الواقي الشمسي"، نجدها لا تلزم نفسها بالخطوات السابقة التي اقترحتها لدراسة الرواية التفاعلية؟، دون أن تقف عند أسباب ذلك، حيث اقتصر تطبيقها للخطوات السابقة المقترحة على دراسة رواية"شات" لمحمد سناجلة فقط؟.

تركز الناقدة في دراسة رواية "الواقي الشمسي"على العقد السردية، التي سهلت على القارئ الانتقال من عقدة لأخرى بالاعتماد على مجموعة من الروابط، وكان محل الاشتغال يشمل مجموعة من العناصر التالية: تحديد البنيات النصية نوعيا وثيميا، تحديد أشكال التفاعل النصي، الانفتاح على الكاتب، والقارئ ومحاولة التوصل لطبيعة العلاقة التي تجمعهما، وهذه من بين أهم المسائل التي كانت تدرس حتى على مستوى النص الورقي. لذلك نعتقد أنّ تركيز الناقدة على هذا العنصر هو تأكيد على ما أصدرته من حكم مسبق؛ بأنّ دراسة النص المترابط لا يختلف عن النص الورقي، من حيث الوقوف عند أهم العناصر السردية المألوفة في دراسته.

كما تؤكد الناقدة أنّ هذا النوع من الروايات هو نص مكاني بامتياز، ولكنه شديد الاتصال بالزمان بحيث تشكلان زمكانية خاصة في المتاهة بوجود سمتين بارزتين؛ البلبلة الزمنية الناجمة في الأساس عن تقديم عقد، وتأخير أخرى عن طريق"ظهور شخصيات جديدة، تقدم أو ارتداد زماني وبزوغ أمكنة جديدة"[14] هذا من جهة، كما تتحقق البلبلة أيضا عن طريق الاسترجاعات و الاستباقات، كما تفصل الناقدة في هاتين السمتين بعناصر وجداول توضيحية. ولكن العناصر المدرجة ضمن هذا الجزء تحتاج–في اعتقادنا–إلى إعادة النظر فيها، من حيث منهجيتي التقسيم والعنونة ؛(عناوين تفتقر للترقيم، نجد ترقيمات عددية طورا وحرفية طورا آخر، وكلها جاءت مضطربة).

تعمّق الناقدة الدراسة بالتركيز على طبيعة الرابط في رواية"الواقي الشمسي"، والذي تتمثل وظيفته في الحذف السردي خاصة"حينما يتم التقريب بين عقدتين مختلفتين زمنيا، حيث تحل الواحدة محل الأخرى محققة بذلك قفزة زمنية...."[15]، أما الحذف البلاغي فتتعدد وجوهه في النص المدروس ما بين

الكناية، والمجاز المرسل والاستعارة، ومن خلال هذا النوع من الحذف يظهر دور كل من الرابط، وقارئ النص المترابط؛ حيث"يقوم الرابط بدور الكناية والمجاز المرسل إذ ربط بين عقدتين بعلاقة ضرورية، كعلاقة السبب بالنتيجة.....ولا يتوقف المجاز المرسل عند عمل الرابط بل يتحقق في عملية القراءة، فقارئ النص المترابط يحدد فضاء قرائيا لا يغطي مجمل الرواية لكنه كاف ليعطيه صورة عنها..."[16].

وفي ختام الفصل الثاني تشير الناقدة إلى أنّ إجراء الحذف بأقسامه الثلاثة(سردي، نحوي، بلاغي)، والذي اعتمدت عليه في دراسة رواية"الواقي الشمسي"هو"إجراء تجريبي "حاولت من خلاله إظهار الميزات، والخصائص التي تتمتع بها الرواية التفاعلية القائمة على بلاغة سردية كل صورها تتحد في نقطة واحدة هي:الحذف"[17]، ورغم ما صرحت به الناقدة إلاّ أننا متيقنون من أنها قد بحثت جاهدة للتأكد من مدى استجابة النص المدروس لهذا النوع من الإجراءات، وإلاّ كيف جازفت واختارت تطبيقه على الرواية الأنموذج؟.

كما خصصت الناقدة (لبيبة خمار)الفصل الثالث من الكتاب للتعريف برواية "شات" لمحمد سناجلة، بالاعتماد على المنهجية التي اقترحتها من قبل لدراسة الرواية التفاعلية[18]، حيث استهلت الدراسة بالوصف الاستطلاعي تناولته وفق العناصر التالية: عنوان الرواية وهو مستقى من المفردات المستعملة على الشبكة وتحيل في مفهومها على المحادثة التي تجمع بين أكثر من شخصين في الغرف المخصصة لذلك، خصوصيتها التقنية، وبناءها المتسم بالازدواجية، لجمعه بين البناء الورقي المحكوم بالتسلسل والبناء الترابطي.كما وقفت الناقدة مطولا لإحصاء العقد السردية، والروابط التي تخترقها، من خلال العديد من الجداول التوضيحية التي نرى بأنّها تتناسب، وطبيعة الدراسة التطبيقية.

المطلب الثالث: الجهاز المفاهيمي:

من خلال هذه الدراسة النقدية نقف عند الجهاز المفاهيمي الذي خصته الناقدة لكل مصطلح من المصطلحات الأساسية المعتمدة فيها:

أولا: مفهوم التفاعل النصي:

تتبنى الناقدة مصطلحا عاما هو التفاعل النصي" ....الذي يتسع لمختلف العلاقات بين النصوص، سواء كانت لفظية أو غير لفظية، وسواء قدمت شفاها أو كتابة أو إلكترونيا"[19]، هذا المصطلح الذي يحتضن مصطلحي: الترابط النصي والتعلق النصي حيث أنّ الترابط النصي إجراء معلوماتي يسمح بربط كلمة بأخرى، أو فقرة أو أيقونة، خاص بالنص الإلكتروني وهو علاقة داخل نصية[20]، ولكنه بحسب رأي الناقد المغربي سعيد يقطين ليس بسمة مميّزة للنص الإلكتروني فقط، وإنما نجده في النص المكتوب

أيضا. أما التعلق النصي فخاص بالنص علاقة خارج نصية، لأنه يربط بين نصين أحدهما سابق والثاني لاحق.

ثانيا: مفهوم النص المترابط:

تحدد الناقدة للنص المترابط مجموعة من الخصائص والسمات، في مقدمتها انعدام الخطية؛ والتي تجعله لا يرتبط بتوالي الفقرات، إنما بشكل شبكي بمجموعة من الروابط سواء كانت"كلمة أوصورة، أو مجموعة من الوثائق المعقدة المرتبطة فيما بينها بمجموعة من الروابط"[21]، كما يتميز بدينامية خاصة للقراءة، والتي تعتمد أساسا على مجموعة العلامات المتواجدة في النص؛ سواء كانت علامات ثابتة أو دينامية، كما يتميّز هذا النوع من النصوص بالبعد اللعبي الذي يولي فيه القارئ أهمية كبرى للشكل على حساب المعنى، بالإضافة إلى أنّه ثلاثي الأبعاد؛ هذه الخاصة التي تتحقق عن طريق ثلاثة مكونات، وهي: الكتابة والعرض، والتصفح والاطلاع، كما يتميز هذا النوع من النصوص باللامادية الناجمة أساس عن تحولها من الورقية إلى شاشة الحاسوب، كما يفتقر النص المترابط للنهاية بمعناها المعروف في الروايات الورقية. إضافة إلى ميزة الشكل المتاهي، وتركيزه على الكلمة التي أفرغت من المحتوى اللغوي لتستبدل بآخر إخباري، وأخيرا يمتاز النص المترابط بالتقطيع الذي يسهل حسب الناقدة عملية اقتطاع النصوص السردية، والتي لن تؤثر على"وحدة البناء أو المعنى الخاصة بهذه النصوص التي اكتسبت نوعا من الاستقلالية بفضل هذا الطابع"[22].

وآخر ما نشير إليه في هذا العنصر استخدام الناقدة لمصطلح النص المترابط بديلا مصطلحيا للأدب التفاعلي، من دون أن تعلل سبب ذلك، فرغم عمق التحليل إلاّ أنها تقع في منزلق الارتباك والاضطراب اتجاه المصطلح المستخدم.

ثالثا: مفهوم الرواية التفاعلية:

تعرف(لبيبة خمار) هذا النوع من الروايات انطلاقا من الوقوف عند الفرق بينها وبين الرواية الورقية؛ حيث يعتمد النوع الورقي على الوحدة العضوية في الإبداع، ويمكن للسارد أن يتدخل في تقديم أو تأخير مجموعة الوظائف،كتنسيق، وتقديم وتنظيم العمل الإبداعي، وبعكس الرواية التفاعلية التي تتميز بالدينامية، والانفتاح على كلّ المؤثرات الصوتية والبصرية، والتي تسمح بإشراكه في عملية الإبداع بحيث يمكنه تغيير نهاية الرواية مثلا، فهي في الأصل كتابة تشاركية يكتبها مجموعة من الكتاب، ولها ميزة أساسية وهي أن بنيتها تظلّ"مفتوحة على إضافات القارئ وكتاباته"[23]. وما يمكن أن يعاب على الناقدة في هذه الجزئية أيضا؛ أنها تجعل مصطلح الرواية التفاعلية بديلا مصطلحيا للرواية الترابطية نفسها، دون أن تقف عند مبررات ذلك؟، فهي تقول"...مع الرواية التفاعلية أو الترابطية بات يشكل انطلاق القارئ من

المعمارية المتميزة.."[24].كما تطلق الناقدة مصطلح الرواية التفاعلية بعموميته للدلالة على شكلين أدبيين آخرين وهما: الرواية الترابطية ورواية الواقعية الرقمية؟، وتتخذه مرادفا أيضا لرواية المستقبل، من دون أن تعلل سبب ذلك؟، حيث تقول:"..لاستخلاص الخصائص الشكلية والموضوعاتية لرواية المستقبل في شكليها الأساسيين: الرواية الترابطية ورواية الواقعية الرقمية. والتي نطلق عليها تجاوزا اسم الرواية التفاعلية"[25]. يقف القارئ إذا على ارتباك واضح في مجموعة المصطلحات التي تعتمدها الناقدة في هذا الكتاب.

رابعا: مفهوم الرواية التوليدية التفاعلية:

تعرف الناقدة القارئ على هذا النوع من الروايات التي ما تزال غير واضحة المعالم من حيث "الترسانة النقدية التي يمكن توظيفها لمعالجة نصوص أباطارية تتسم بقدرتها الهائلة على التبدل والتحول، والتي تصل في تحولها حد معانقة اللامعنى واللانص...."[26]، وقد خصصت الناقدة لتوضيح طبيعة هذا النوع من النصوص المبحث الأخير من الفصل الأول، حيث اعتمدت على متن روائي هامشي، والمعنون ب"مسارات" لجان بيير بالب، حيث نعتقد بأنّ إدراج هذا العنصر لا يتناسب وطبيعة المادة المعرفية المقدمة للقارىء حتى حدود المبحث الثالث؛ علما أننا لا نتعرف على أنواع الروايات التفاعلية تنظيرا إلاّ في الصفحات اللاحقة المخصصة للفصل الثاني؟؟؟؟، فكان يجدر بالناقدة دمج المبحثين الثالث والرابع من الفصل الأول مع الفصل الثاني الذي خصص للرواية التفاعلية. كما نلحظ ارتباكا واضحا من قبل الناقدة في تحديد هوية هذا النص؛ حيث أنها تدرجه في الدراسة التطبيقية، في المبحث الرابع من الفصل الأول ضمن الرواية التفاعلية التوليدية، ولكنها تجنسه بهوية أجناسية أخرى في المقدمة؟، حيث تقول:"...كما هو الحال في الرواية البوليسية *مسارات*.....حيث يجد القارئ نفسه أمام يومية تتكون من أربعة وعشرين يوما تتطابق والزمن الحكائي..."[27]، ومع وجود هذا اللبس في تحديد انتماء النص إلى أنّ الناقدة لا تتطرق إلى الإشكالية الأجناسية للنص المدروس، مع أنها فعلت ذلك مع رواية "الواقي الشمسي"لألان سالفتور؟؟؟.

خامسا:الرواية التوليدية :

تقدم الناقدة تعريفا موجزا مقتضبا لهذا النوع من الروايات، بقولها هي الرواية"المولدة من طرف المولد الآلي"[28].

سادسا: مفهوم رواية الواقعية الرقمية:

ينتمي هذا الشكل الروائي إلى ما يسمى بالنص الرقمي ذو النسق الإيجابي، والذي ينشر نشرا رقميا مستفيدا من الخدمات التي يمنحها الحاسوب، ويوفرها النص المترابط، وهي نوع من الروايات التي"تواكب التحولات التي يعرفها إنسان هذا العصر في رحلته لمعانقة كينونته الافتراضية"[29]، ونظن أنّ هذا المفهوم لم يوضح شيئا عن ماهية هذا الشكل، حتى يدرج بعيدا عن الرواية الرقمية نفسها؟، في اعتقادنا أنّ الناقدة لم تعطه حقه من التوضيح، لا من حيث الماهية، ولا من ناحية الخصائص والمميزات.

من خلال كل ما سبق تناوله، سعت هذه الدراسة للوقوف عند بعض، مكامن القوة، ومواطن الضعف، وبعض الهفوات الموجودة في عمل الناقدة (لبيبة خمار)، وهذا بعيدا عن التشكيك في القيمة العلمية للكتاب.

الخاتمة:

توصلنا في نهاية هذه المقاربة النقدية لكتاب الناقدة المغربية(لبيبة خمار) الموسوم ب"شعرية النص التفاعلي–آليات السرد وسحر القراءة– إلى النتائج التالية:

– اقتصر التفكير النقدي عند الناقدة(لبيبة خمار)على قضايا وإشكالات نقدية محددة ومألوفة في التفكير النقدي العربي عموما من مثل الوقوف: عند المفهوم، وإشكالية التجنيس، والتصنيف.

– نقف في هذه الدراسة عند مجموعة من المصطلحات النقدية المضطربة التي وظفها الناقدة ومنها: النص المترابط، الرواية الترابطية، الرواية التفاعلية، رواية المستقبل، ورواية الواقعية الرقمية.

– اتسمت التجربة النقدية بالجدية في البحث عن الجديد، وتركيزها على الدراسة التطبيقية بتجريب إجراء الحذف(السردي، النحوي، البلاغي)على الرواية التفاعلية من خلال أنموذج الرواية الغربية"الواقي الشمسي"لألان سالفتور.

– لم تخضع دراسة الرواية التفاعلية"الواقي الشمسي"لألان سالفتور، ورواية الواقعية الرقمية"شات" لمحمد سناجلة على استراتيجية واحدة في التحليل، كما انحازت الناقدة بشكل واضح لدراسة معمقة للرواية الأولى، وتحليل سطحي للرواية الثانية.

– لم تكرّس الناقدة دراستها كما كان متوقعا لطرح القضايا، والإشكالات الكبرى المرتبطة بالأدب التفاعلي، وإنما ركزت على دراسته دراسة تطبيقية تنبني بالأساس على مكوناته الداخلية.

الهوامش:

[1] خمار لبيبة(2014)، الأدب الرقمي، إشكالاته، راهنيته وآفاقه المستقبلية، موقع لبيبة خمار، حاور الدكتورة الإعلامية ليلى بارع، السبت 19 جويلية.http://labiba-khemmar.narration.over-blog.com/2014/07/53c9dfa6-58f1.htm

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

[4]خمار لبيبة، شعرية النص التفاعلي-آليات السرد وسحر القراءة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ص16.

[5] المرجع نفسه، ص109.

[6] المرجع نفسه، 234.

[7] المرجع نفسه، ص17.

[8]خمار لبيبة، شعرية النص التفاعلي-آليات السرد وسحر القراءة-، ص17.

[9] المرجع نفسه، ص117.

[10]المرجع نفسه، ص117.

[11]المرجع نفسه، ص118.

[12]المرجع نفسه، ص119.

[13]خمار لبيبة، شعرية النص التفاعلي-آليات السرد وسحر القراءة-، ص11.

[14]المرجع نفسه، ص134.

[15] المرجع نفسه، ص227.

[16]المرجع نفسه، ص228.

[17]المرجع نفسه، ص230.

[18]خمار لبيبة، شعرية النص التفاعلي آليات السرد وسحر القراءة، ص114.

[19] المرجع نفسه، ص36.

[20]المرجع نفسه، ص35.

[21]المرجع نفسه، ص37.

[22] خمار لبيبة، شعرية النص التفاعلي-آليات السرد وسحر القراءة-، ص47.

[23] المرجع نفسه، ص120.

[24] المرجع نفسه،ص110.

[25]المرجع نفسه، ص110.

[26]خمار لبيبة، شعرية النص التفاعلي-آليات السرد وسحر القراءة-، ص85

[27]المرجع نفسه، ص120.

[28]المرجع نفسه، ص120.

[29] المرجع نفسه، ص120.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المراجع بالعربية:

–خمار لبيبة، شعرية النص التفاعلي–آليات السرد وسحر القراءة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014.

ثانيا: المواقع الالكترونية:

–خمار لبيبة، الأدب الرقمي، إشكالاته، راهنيته وآفاقه المستقبلية، موقع لبيبة خمار، حاور الدكتورة الإعلامية ليلى بارع، السبت 19 جويلية.-http://labiba-khemmar.narration.over-blog.com/2014/07/53c9dfa6-58f1.html